البعد الفلسطيني ـ اللبناني في حرب الاستنزاف الداخلية العربية

الدكتور أسعد عبد الرحمن

وحدهم ضعاف الذاكرة يعتقدون أن الصدامات الدموية الاخيرة في لبنان في نيسان ـ ابريل ١٩٧٥ كانت تفاعلات ومضاعفات لحدث عفوي منعزل قام به أفراد من حزب الكتائب « اللبناني » . فهذه الاحداث ما هي الا حلقة في سلسلة حرب الاستنزاف الداخلية العربية الدائرة منذ زمن ليس بالقريب ، واهراقا متعمدا لمزيد من دماء الكيان الفلسطيني الذي ما فتىء يكون عرضة للاستنزاف ، من قبل أعداء العرب والعرب الاعداء على حد سواء ، منذ انبعاثه الجديد في العام ١٩٦٤ . وتثبيت هذه الحقيقة لا يتم تحت وطأة « نزعة دونكشوتية » تجعلنا نختلق ونقاتل أعداء وهميين ، كما انه لا يتأتى عن أية احاطة للذات بأي من أجواء « الاحساس المكثف بالمؤامرة » أو اي من صيغ التراجيديا السياسية . فالادلة الثبوتية ستقدم نفسها حالا بعد تسجيل الملاحظات الضرورية التالية :

أولا : من الطبيعي ان تخوض القوى السياسية المتناقضة ايديولوجيا وتنظيميا وسياسيا صراعاتها سعيا وراء تغيرات تجير لمصلحة هذا الفريق أو ذاك . وفي هذا المجال ، تجد قوى عديدة ، في السلطة أو خارجها ، في جميع البلدان العربية ، نفسها في حالة تناقض مع ما يمثله واقع العمل الفدائي الفلسطيني فكرا وممارسة . وعليه فان الصراع بين هذه القوى حتمي بغض النظر عن النوايا والعواطف الذاتية .

ثانيا : ان الصراعات في المنطقة العربية ، وبالتالي حرب الاستنزاف الداخلية العربية ، ليست بين ما هو فلسطيني وما هو غير فلسطيني فحسب ، بل هي بين قوى عربية غير فلسطينية أيضا . وهذا لا ينفي ، بطبيعة الحال ، احتمال تلون هذه الصراعات ، الصرف عربية ، باللون الفلسطيني . وبعبارة أخرى ، فان مسألة حياد الطرف الفلسطيني في الصراعات العربية الدائرة حتى ما قبل الانبعاث الفلسطيني الجديد ، مسألة اكاديمية نظرية ، لا مجال لها على أرض الواقع لانها ليست مرهونة بالإرادة الذاتية الفلسطينية وحدها .

ثالثا : هذه الصراعات المتشابكة الخيوط والمتعددة الجوانب لا تتم بمعزل عن صراع الارادات الدولية التي جعلت من الوطن العربي واحدة من أوسع ساحات اقتتالها العنيف وغير العنيف . ويتراوح ترابط القوى والاحداث الاقليمية والدولية بين درجة الالتحام العضوي وبين الدعم المعنوي وكل ما يندرج بينهما من أشكال وأنماط . وعليه، فانه لا يفوت المراقب الفطن رؤية البصمات غير العربية (الاسرائيلية وغيرها وبخاصة بصمات الدول الكبرى) على مجمل وتفاصيل الصراعات العربية ـ العربية ، والفلسطينية ـ العربية ، في المنطقة .